

الفصل السابع

اليابانيون الأمريكيون في زراعة كاليفورنيا دراسة في الجغرافيا التاريخية

تمهيد:

لقد جذب المهاجرين من شتى أنحاء الأرض ما تتمتع به أمريكا من أراضٍ شاسعة خصبة، ومع ذلك فقد جنح المهاجرون من أوروبا والشرق الأوسط إلى الاشتغال بغير الزراعة في أواخر القرن التاسع عشر، وجنحوا إلى العمل بالمدن والمناجم والمصانع. وكان المهاجرون اليابانيون على العكس من ذلك إذ بدأوا حياتهم في مهجرهم بالعمل بالحرف غير الزراعية مثل خدمات المنازل، والمناجم، ومد السكك الحديدية وفلاحة البساتين ولكن وظيفة عامل غير زراعي لم تكن لترضي الياباني على الإطلاق بعد مرور فترة من الزمن (Iwata, 1962:27).

وكان كل جنس من الأجناس التي هاجرت إلى الولايات المتحدة يطمح إلى أن تصير له نفس المكانة التي كانت له في بلده، وكلما زاد طموح الشخص وعظمت مقدراته زاد عنده هذا الميل الذي نجده على أشده بين المهاجرين اليابانيين الذين يقدرّون الزراعة أعظم التقدير، ولاغرو فالفلاح الياباني كانت له في بلده مكانة تفوق مكانة أي عامل في مجال التجارة والصناعة، كما نجد اليابانيين في بلدهم قد تمكنوا من انشاء نظام زراعي غاية في التركيز نظرا لضآلة الموارد الطبيعية (Millis, 1915:79-80).

وكان الفلاحون اليابانيون يجنحون للتكدس في كاليفورنيا وولايات الساحل الغربي، أما عزوفهم عن الاستقرار بأعداد كبيرة في نيو انجلند وولايات جنوب الأطلسي وكذا ولايات جنوب الوسط، فيمكن أن نعزوه إلى عدة أسباب، منها:-

تربة نيو انجلند الفقيرة غير الخصبة ثم وجود الرقيق في الولايات الاحدى عشرة التي انفصلت عن الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٦٠-١٨٦١

(Old Confederacy)، أضيف إلى ذلك الاعتقاد بأن المهاجرين غير مرغوب فيهم، ثم غياب الأقارب والأصدقاء الذين يتوق المهاجرون إلى التآم الشمل معهم، ثم ما انتشر وذاع عن وجود فرص رائعة في مجالات الزراعة في الشمال والغرب ما (Saloutos, 1976:48).

واشتغل الإيساي في كاليفورنيا أول ما اشتغلوا عمالا زراعيين في وادي فاكا (Vaca Valley) سنة ١٨٨٧. فلما حل عام ١٨٩١ كان المشتغلون منهم في حقول الكروم بفريزنو (Fresno) ثلاثين شخصا. وكان هناك غير هؤلاء يشتغلون في منطقة الفواكه بنيوكاسل (Newcastle) وكذلك في منطقة زراعة الخمر (Hop growing area) بوادي باجارو (Pajaro) وكذا في المنطقة الدنيا من ساكرامنتو (Lower Sacramento) ونهر سان جواكين (San Joaquin river) وكذا في مناطق ماريزفيل (Marysville) وسويزون (Suisun)، كما نجدهم قد حققوا مكانة كبيرة في حقول البنجر بالولاية قبل سنة ١٩٠٠. وبعد سنة ١٩٠٠ نجدهم ينتقلون إلى صناعة الحمضيات بكاليفورنيا الجنوبية (Iwata, 1962:27) (أنظر شكل: ٢٠).

ولم يأت عام ١٩٠٩ حتى كان عدد المشتغلين في مجال الزراعة يناهز ٣٩,٠٠٠ ياباني (Ichihashi, 1932:163). وقد أجرت لجنة الهجرة بالولايات المتحدة بحثا عن موضوع اليابانيين في مجال الزراعة، وخلصت إلى ما يلي:-
"كانت غالبية العمال الزراعيين اليابانيين في كاليفورنيا عمالا موسمييين في البداية، غير أن عددا كبيرا منهم قد استقر في سنة ١٩١٠ في المجتمعات الزراعية المختلفة التي كانوا يعملون بها لدى فلاحين من البيض واليابانيين، كما كاد مزارعو التوت (Berry) أن يستخدموا عمالا يابانيين دون سواهم في ذلك الحين، كما كان نصف العاملين في مزارع بنجر السكر والمشاتل والعنب من اليابانيين، ولكنهم لم يستخدموا على نطاق واسع في مزارع أعلاف الماشية والحبوب وكذا الخمر، وفي منطقة الموالح الجنوبية كان اليابانيون يشكلون نسبة تتراوح بين النصف والثلاثة أرباع من بين العاملين الموسمييين كافة. وكان عام ١٩٠٩ قد حقق أعلى نسبة عمالة يابانية، ثم أخذ اليابانيون يتركون المزارع



المصدر:

Ichihashi, Yamato, 1932, Japanese in the United States, Stanford: Stanford University Press.

Iwata, Masakazu, 1962, "The Japanese Immigrants in California Agriculture" Agricultural History, 36: 25-37.

شكل (٢٠) المراكز الزراعية لليابانيين الأمريكيين (١٩٠٠-١٩٤٢).

التي يديرها البيض الى المزارع التي يديرها اليابانيون وكانت الأخيرة آخذة في الاتساع والانتشار" (Quoted in , Iowa,1962:27).

وكان ثمة أسباب لتكدس العمال المهاجرين اليابانيين بمزارع كاليفورنيا قبل حلول ١٩١٠ فخلال ذلك العام كثر العمال الزراعيون بصفة عامة، وعلى الرغم من منع الصينيين من دخول الولايات المتحدة، فقد عانت الحرف الأخرى غير الزراعية من لون من ألوان الكساد خلال التسعينات من القرن التاسع عشر، مما حدا بعدد كبير من العمال البيض الى الاشتغال بحرفة الزراعة، فلجأ اليابانيون الى خفض أجورهم لتكون لهم الغلبة في المناطق الزراعية (Ichihashi, 1932:178 Iwata, 1962:28).

وورد في تقرير لجنة الهجرة الأمريكية ما يلي:-

"في بعض المناطق التي كان الصينيون يعملون بها نظير خمسة دولارات في الاسبوع، نجد اليابانيين يبدؤون بقبول خمسة وثلاثين سنتا في اليوم في بداية التسعينات، وفي مناطق أخرى نجد أجور اليابانيين تتفاوت متراوحة بين ستين وتسعين سنتا. بينما الآخرون من العمال البيض يحصلون على دولار يوميا بما في ذلك الإقامة والاعاشة" (Quoted in,Iwata, 1962:28).

وهناك سبب آخر لتلك الأعداد الكبيرة من اليابانيين في مزارع كاليفورنيا، وهو ازدهار الحرف الأخرى غير الزراعية مرة أخرى بعد سنة ١٩٠٠ الى جانب الانخفاض المستمر في عدد العمال الصينيين مما أدى الى خلق فراغ سده اليابانيون عن طيب خاطر (Ichihashi, 1932:160-163).

وقد أخذت أعداد اليابانيين العاملين بالزراعة في الانخفاض منذ سنة ١٩٠٩، ويظهر ذلك من مطالعة جدول رقم (٧)، ويمكننا أن نتبين في جلاء أن ذروة العمالة اليابانية في مجال الزراعة كانت في سنة ١٩٠٩ وكما ذكرنا آنفا فقد نزح اليابانيون الى الزراعة وتركوا الخدمات المنزلية وغيرها، ثم حدثت

بعد ذلك بفترة من الزمان هجرة أخرى من مجال الزراعة الى المدن، ولذا أمكننا القول بأن أهمية مهنة الزراعة قد تدنت بعض الشيء. ومن ثم نجد أعداد

جدول (٧) عدد اليابانيين في أعمال الزراعة بكاليفورنيا

النسبة المئوية لسكان المزارع بالنسبة لإجمالي عدد السكان في الولايات المتحدة	١٩٢٠	١٩٧٠	١٩٤٠	١٩٠٩	المكان
٣٠,١%	١٩٢٠	١٢,٥٦٧	---	٢٩,٠٠٠	الولايات المتحدة
٨,٧%	١٩٦٠	٦,٠٦٦	١٧,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	كاليفورنيا
٤,٢%	١٩٧٠	٤٢٨	---	٢,٠٠٠	واشنطن
		٠.م.غ	---	٢,٠٠٠	كلورادو
		٠.م.غ	---	١,٠٢٥	يوتا
		٠.م.غ	---	١,٠٠٠	أوريجون
		٠.م.غ	---	٨٠٠	ايداهو
		٢,٩٦٣	---	٠.م.غ	هاواي
		٧٧	---	٠.م.غ	ايلينويز
		٤٦	---	٠.م.غ	نيويورك
		٠.م.غ	---	٧٠٠	مونتانا

المصدر:

Robert Higgs, 1979, "The Wealth of Japanese Tenant Farmers in California, 1909", *Agricultural History*, 53: 489-493.

U.S. Department of Commerce, Bureau of Census, *Farm Population: 1975*, Vol.

2.

اليابانيين في زراعة كاليفورنيا قد انخفضت لتصير ١٧,٠٠٠ شخص في سنة ١٩٤٠، ومنذ ذلك الحين نجد أعدادهم في هذا المجال آخذة في الانخفاض ففي سنة ١٩٧٠ لم يبق في حرفة الزراعة هناك سوى ٦,٠٦٦ شخصا ولم يكن اليابانيون وحدهم في نبذ حرفة الزراعة بل كان الأمر عاما على مستوى الولايات المتحدة.

بعض المميزات الخاصة بالأيدي العاملة اليابانية في مجال الزراعة

من السمات الخاصة التي تميز بها اليابانيون في هذا المجال تفضيلهم للعمل في ذلك النمط شديد الكثافة من أنماط الزراعة، Intensive agriculture ولا عجب في ذلك، فقد تخصصوا في هذا الضرب من ضروب الزراعة في وطنهم اليابان قبل مجيئهم الى الولايات المتحدة، حيث يوجد في اليابان أكثر نظم الزراعة كثافة على صعيد العالم أجمع . كما عزز مركز اليابانيين في هذا المجال، وجودهم في صورة جماعات عمالية تحت امرة بعضهم، فأنشأ الوكلاء مساكن لاقامة هؤلاء العمال ومحلات لتوفير احتياجاتهم حتى تحين فرص العمل أمامهم (Ichihashi, 1932:172).

كما ساعد أيضا نظام التعاقد لدى اليابانيين والذي كان سائدا في كاليفورنيا على أن يتحول اليابانيون من عمال بالأجرة الى مستأجرين ثم الى ملاك للمزارع، فكان أهل كاليفورنيا يفضلون أن يؤجروا أرضهم لليابانيين إذا كان هؤلاء على استعداد لدفع مبالغ أكبر من نظرائهم من البيض (Iwata, 1962:28) ولكن ما الذي مكن اليابانيين من دفع ايجارات أعلى من ايجارات البيض؟ كان لذلك بعض الأسباب، يذكر بعضها هجس (Higgs) فيقول: "طموح أكبر، واستعداد أكثر للمخاطرة، ومقدرة أعظم على الجهد في العمل ولمدة أطول وبكفاءة أكبر، ثم أيد عاملة من أفراد الأسرة بلا أجر، ومستوى أقل في المعيشة ومجالات بديلة أقل، كل ذلك أسهم في جعل اليابانيين على استعداد لدفع مبالغ أكبر من غيرهم من البيض عند استئجار الأرض" (Higgs, 1978:213).

لقد تمكن اليابانيون من تحقيق النجاح في ميدان الزراعة، كما تمكنوا، وبصورة جديرة بالملاحظة، من صعود السلم الزراعي، ليرتقوا من منزلة العمال الى الزراعة الى الاستئجار نظير مبلغ من المال ثم الى تملك الأراضي الزراعية في نهاية الأمر (Iwata, 1969:29). ولم يتحقق لهم ما كانوا يصبون اليه من منزلة عالية ومكانة مرموقة في مجال الزراعة بكاليفورنيا، لم يتحقق لهم ذلك في سهولة ويسر، بل تطلب منهم بذل الجهد الشاق المستمر، والكفاح أمام التفرقة العنصرية من ناحية، وضد الطبيعة من ناحية أخرى، لقد خسروا الأموال والأرواح في أقاليم الدلتا لنهر سان جواكين (San Joaquin) ووادي امبيريال (Imperial Valley)، ومقاطعة فريزنو (Fresno). وقد خسر جورج شيما ملك البطاطس الشهير - أمواله بسبب الفيضانات والكوارث عاما بعد عام، ولكنه صمد وثابر حتى تحقق له النجاح (Ibid, p.29). وفي ليفنجستون (Livingston) صنع اليابانيون ملحمة من ملاحم العمل والجد، ففي تلك البقعة بالذات كانت التربة عبارة عن رمال متحركة تسوقها رياح الصحراء التي تمتص كل ذرة رطوبة وتبدها حيث السطح تصب عليه الشمس شواظا من لهب حارق، فلا ظل ولا مياه ولا مرافق صحية أو مدارس أو كنائس، لم يكن ثمة إذن ما يجعل الحياة تستحق الحياة. بل لقد كان البعض يعتقد بأنها ضرب من المستحيلات في تلك المناطق (Boddy, 1921:100). لقد أقيمت مستعمرة أمريكية في ليفنجستون (Livingston) في سنة ١٨٩٤، ولكنها ما لبثت أن انمحت معالمها وتلاشت بعد فترة صراع قصيرة، وتعرض اليابانيون للتهكم والسخرية عندما أعلنوا عن رغبتهم في الاستقرار هناك، فأقاموا مستعمرتهم في سنة ١٩٠٦ وواجهوا الكوارث وكادوا يموتون من الجوع طيلة سنين عجاف كادت أن تصل الى خمس سنين حتى كللت مجهوداتهم بالنجاح وبدأوا يحققون المكاسب ويجنون الثمار (Ibid, p.100).

* أنشأ بعض المهاجرين اليابانيين الأوائل مزرعة في كاليفورنيا في سنة ١٨٦٩، وكان عددهم ٤٠ شخصا. جلبهم من اليابان أحد الأوربيين ويدعى شوكل (Schucll) كان يعمل مستشارا عسكريا باليابان، ولكنهم تعرضوا لفترة طويلة من الجفاف فخسروا أموالهم، وانتهى بهم الأمر الى أن تفرقوا (Kitano, 1969:12-13). انظر أيضا الصورة في نهاية هذا الجزء.

المعارضة التي لقيها الفلاحون اليابانيون

لم يكن أمام الفلاحين اليابانيين أن يصارعوا عناصر الطبيعة فحسب، بل كان عليهم مجابهة التفرقة ضد هم كذلك، فقد تعرضوا في سنة ١٩١٣ لقوانين الأرض المعادية لهم، ثم عززت تلك القوانين في سنة ١٩٢٠ و ١٩٢٣ (Higgs, 1970:207). ولم يكن قانون الأرض لعام ١٩١٣ إذا فعالية على الرغم من ذلك ومرد ذلك أسباب ثلاثة : ففي المقام الأول كان هناك يابانيون يمتلكون الأرض بالفعل ثم كان في امكانهم التحايل على هذه القوانين باقامة مؤسسات شرعية، كما كان في استطاعتهم أن يكتبوا الأرض باسم أحد أبنائهم من جيل النيساي (Nisei) الذين يتمتعون بالجنسية الأمريكية بقوة القانون (Kitano, 1969:17). وفي سنة ١٩١٩ أعد ف. س. ماك كلاتشي (V.S.McClatchy) موجزا من ٢٨٩ قسما حول موضوع الهجرة اليابانية ليقدمه الى وزارة الخارجية ويقول القسم ١٦٤ من هذا الموجز: "القسم ١٦٤: ولذلك نجد أنه ليس ثمة نفع يعود على صغار الفلاحين البيض من وراء اليابانيين لأنهم لن يعملوا من أجل الفلاح الأبيض، بل سيصيرون غرماء له ومنافسين بمجرد أن يصبحوا مستأجرين للأرض أو ملاكا لها بجواره ولربما جعلوه يترك أرضه في نهاية الأمر أو يستبدل بحرفته حرفة أخرى . ان العمال البيض الذين يعملون لدى اليابانيين في كاليفورنيا أكثر عددا من اليابانيين الذي يعملون لدى البيض" (Mc Clatchy, 1921:54).

المنجزات اليابانية في زراعة كاليفورنيا

حقق اليابانيون أغلب منجزاتهم في مجال الزراعة خلال العقد الثاني من هذا القرن، ففي سنة ١٩١٠ بلغ ما تملكوه من أراض ١٧,٠٣٥ فداناً، وما استأجروه نظير مبلغ محدد من المال ٨٩,٤٦٦ فداناً وما استأجروه عن طريق المزارعة ٥٠,٤٠٠ فداناً، وعن طريق التعاقد ٣٧,٨٩٨ فداناً، ولم تحن سنة ١٩٢٠ حتى صارت تلك الأرقام هي ٧٤,٧٦٩، ١٩٢,١٥٠، ١٢١,٠٠٠، ٧٠,١٣٧ على التوالي (Ichihashi, 1932:184 & 205).

وقد استقر الفلاحون اليابانيون في خمس مناطق زراعية بكاليفورنيا عرف عنها أنها أجود أراض في الولاية كلها، فكانوا إذن في منطقة الأرز بأقاليم جلين (Glenn)، وكولوزا (Colusa)، وبوت (Butte)، وكذا المناطق المزروعة هليوناً (asparagus) وتوتا (berry)، وخضرا وفاكهة وأعنابا من سان جواكين (San Joaquin) وساكرامنتو (Sacramento) وسولانو (Solano) ويولو (Yolo) واقليمي سوتر (Sutter) وبلاسير (Placer) ومناطق الأعناب والفاكهة في مقاطعات فريزنو (Fresno) وكنجز (Kings) وتولار (Tular)، ومناطق الخضر والفاكهة في لوس انجلوس (Los Angeles) و أورانج (Orange)، وكذا مناطق زراعة الشام والخبز في منطقة امبريال (Imperial) (Iwata, 1962:30).

ويظهر جدول (أ) عدد من الأفدنة حسب نمط الزراعة التي يستخدمها الفلاحون اليابانيون في كاليفورنيا لعامي ١٩١٠ و ١٩٢٠. وفي عام ١٩٢١ كان نصيب اليابانيين من جملة الإنتاج الزراعي في كاليفورنيا ١٢,٣%، ثم انخفضت هذه النسبة سنة ١٩٢٥ لتصبح ٩,٣% ويرجع ذلك الى حد ما الى هجرة النيساي من المزارع والى قوانين ١٩١٣ و ١٩٢٠ (Ichihatchi, 1931:198-199). ولم يحن عام ١٩٤١ حتى صار لليابانيين وضع مهم جدا في الانتاج الزراعي بكاليفورنيا، فقد كانوا يزرعون ٤٢% من فدادين الولاية المزروعة بالحصائد الاقتصادية و ٩٠% من الفول (Snap beans) للتسويق، وكرفس الربيع والصيف، والفلفل والفراولة، و ٥٠ الى ٩٠% من الخرشوف والقربيط والخيار والسبانخ والطماطم و ٢٥% الى ٥٠% من الكرنب والشمام والجزر والخس والبصل والبطيخ، أضف الى ذلك أنهم كانوا يزرعون ٣٠,٠٠٠ فداناً من العنب أغلبها في وديان سان جواكين وساكرامنتو وحوالي ١٩,٠٠٠ فدان من الفواكه الموسمية والمكسرات بما في ذلك البرقوق (Plums) والخوخ والبازلاء ونوع آخر من البرقوق (Plures) والمشمش واللوز والجوز والكريز، كما انشغل اليابانيون بتربية الدواجن ومحاصيل المشاتل، وما أن اندلعت الحرب العالمية الثانية أو كادت حتى كان اليابانيون يسيطرون على نحو من ٦٥% من حرفة زراعة الزهور، ليصب في أيديهم ١٦ مليون دولاراً من إجمالي أعمال سوق الزهور في لوس انجلوس البالغ ٢٥ مليوناً من الدولارات كل عام (Iwata, 1962:32-33).

جدول (٨) نمط الزراعة التي استخدمها اليابانيون
في كاليفورنيا

عدد الأفدنة		نوع المزرعة
١٩٢٠	١٩١٠	
٤٠,٠٠٠	١٤,٤٤٠	القول
١٨,٥٠٠	٢٢,٦٣٠	البطاطس
٣,٠٠٠	٣,٩٧٨	الكريس
٧,٥٠٠	٣,١٧١	الطماطم
٩,٥٠٠	٤,٠٥٨	البصل
٥١,٣٠٠	٣١,٩٣٢	بنجر السكر
١٢,٠٠٠	—	الشمام
٤٤,٥٠٠	١٤,٤٨٣	خضروات
٦,١٠٠	٤,٥٣٠	التوت
٥٦,٠٠٠	٢٦,٥٨٧	العنب
—	١٢٢	البرتقال
٤٧,٥٠٠	٢٦,٧٢٨	سائر الفواكه
١,٢٦٠	٣,٢٢٥	الخمور
٨,٠٠٠	—	الذرة
٢٧,٨٣٠	—	الأرز
٣٥,٠٠٠	١٧,٢٢٥	الأعلاف والحبوب
١٢,٠٠٠	٦٣٠	القطن
١٥,٢٠٠	٢,٤٤٧	البذور

تابع جدول (أ) :

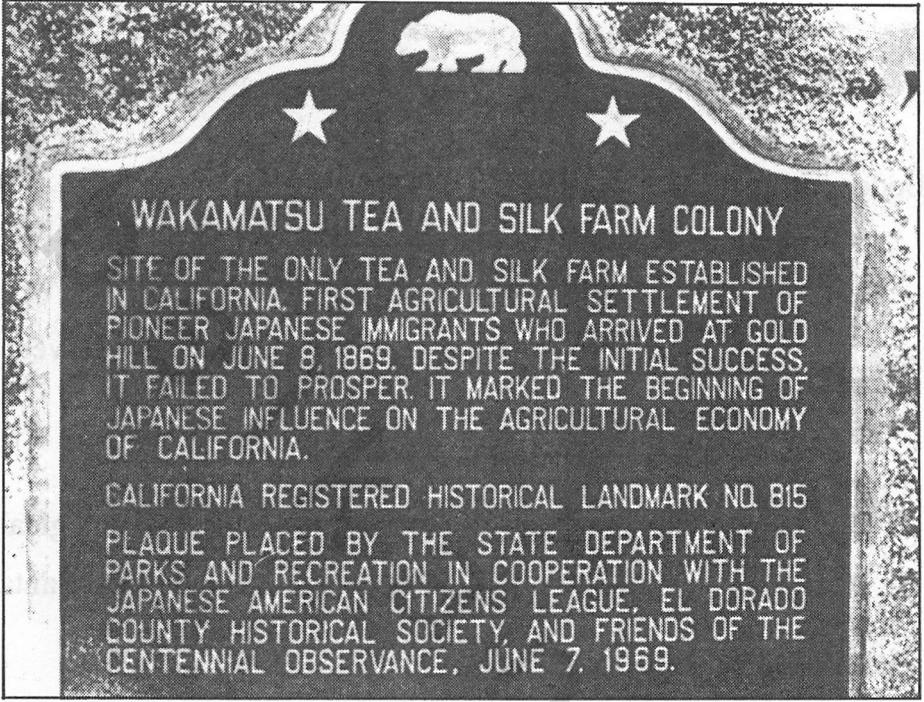
عدد الألف دنة		نوع المزرعة
١٩٢٠	١٩١٠	
—	٨٢١	المشاتل
—	٢,٨٣٥	الفلاحة
—	٣٦٤	الدواجن
—	١,٧١٠	متنوعات
—	١,٣٠٩	مساحات شاغرة
٤١٦,٤٩٠	١٩٤,٧٩٩	المجموع

المصدر :

M. Iwata, 1962, The Japanese Immigrants in California Agriculture,
Agricultural History, 36 : 25-37.

وبعد عام ١٩٤٢، وترحيل اليابانيين عن الساحل الغربي، أصيب نظام الزراعة والتوزيع الياباني بالدمار فحلت محل معارضهم العديدة محلات الأغذية الضخمة التي تنشئها المؤسسات، ومنذ سنة ١٩٤٥، واغلاق المعسكرات، أخذ اليابانيون يحاولون استعادة مكائهم السابقة في مجال الزراعة.

ويسيطر تجار الجملة اليابانيون (النيساي Nisei) على توزيع سلع مثل الجزر والبنجر والكرفس وكذا التوت، ولكنهم مع ذلك لم يوردوا سلعهم الى تجار التجزئة ، كما كانوا يفعلون فيما سبق، بل يقومون اليوم ببيع هذه السلع الى المشتريين من ممثلي الأسواق المركزية (Supermarkets) (Iwata, 1962:34).



يظهر في الصورة موقع مزرعة الشاي وحرير الوحيدة التي أنشأتها في كاليفورنيا أول مستعمرة زراعية من المهاجرين اليابانيين الأوائل الذين وصلوا "جولد هيل" (Gold Hill) في ٩ يونية سنة ١٨٦٩، وعلى الرغم من النجاح الذي صادفهم في البداية فلم يكتب لهم التوفيق والاستمرار. وتشير هذه الصورة الى بداية النفوذ الياباني على الاقتصاد الزراعي في كاليفورنيا.

المصدر:

Hosokawa, Bill, 1969, Nisei: the Quiet Americans, New York: Williams Morrow and Company, Inc.